

## الجرائد

## في القطر المصري

من ورد الديار المصرية في هذه الايام ورأى ان في القاهرة وحدها ما  
ينيف على خمسين جريدة بين يومية واسبوعية وشهرية وغير ذلك ثم قابل  
بين حالها اليوم وما كانت عليه من زهاء عشرين سنة حين لم يكن فيها الا  
جريدة واحدة هي الجريدة الرسمية تبين المسافة التي جازها هذا القطر في  
هذه المدة اليسيرة وما حدث في نفوس اهله من النهضة الادبية واقبال  
القرآء منهم على المطالعة واقتباس الفوائد من خلال السطور وما نجم فيه  
واجتمع اليه من الكتاب والمنشئين وانما يُجلب الى كل سوق ما ينفق فيها  
لا جرم ان هذا من سريع الانتقال الذي قل ان تجد له نظيراً في  
تواريخ الامم مما يدلك على وجود الاستعداد الفطري في الامة تنزع به الى  
قديمها وان عنصر تلك النفوس النبيلة والاذهان الثيرة ما زال متسلسلاً في  
دماء الخلف كامناً في طبائعهم متأهباً للظهور اذا صادف ما ينبهه كالنار  
تظهر عند الاقتران . بيد انك اذا تفقدت تلك الجرائد وجدت اكثرها  
بعيداً عن المنزع الذي تقتضيه حالة القطر غير متلق تلك النهضة بما يرفع  
الامة من كبوتها ويقادها في الوجهة التي هي طريق سعادتها وفلاحها لان  
اكثرها على تعدد نزعاتها واختلاف مذاهبها لا خطة لها الا احاديث السياسة  
ومزاعم اربابها تتلو على القرآء في هذا القطر ما يُحدّث به في مجالس لندرا  
وبرلين وما يتخرص به سياسيو باريز وبترسبرج ونقص عليهم تفاصيل

المواقع الحربية بين الصين واليابان وشروط الصلح بين اسبانيا والولايات المتحدة الى غير ذلك مما لا يهيم المصري في حالته الحاضرة الوقوف على شيء منه ولا هو في شيء من حاجاته ومصالحه فضلاً عن ان هذه المباحث انما هي من غايات المدنية لا من مبادئها وانما تتلقاها الامة بعد ان تستوفي قسطها من ضروريات العلم وتستعدّ لفهم ما يلقى اليها من ذلك بعد معرفة المقدمات التي تفيد تصوّره . وياليت شعري ما الذي يقع في ذهن العامي من مكاشفته باسرار الممالك وسياسات الدول وافكار الوزراء والقواد وهو لم يسمع من امر تلك الممالك الاّ بأسمائها ولم يقف على شيء من تواريخها وسائر احوالها وكيف يستطيع ان يتمثل وقائع حرب بين امتين وهو لا يعلم موقع بلادهما من الارض واذا سردت عليه اسماء بعض الاماكن التي حدثت فيها تلك الوقائع لم يعلم في اي البلادين هي وهل هي اسماء شعور ام جزر ام سفن ام قواد

ثم على تسليم ان ذلك كله سائح وان المقصود به الفئة المتتورة من الامة وهي اقل من القليل فما الداعي الى وجود عشرات من الجرائد تكرّر الخبر الواحد مع وحدة المشتركين في اكثرها على ما هو معلوم واي منفرد للذوق وداع لكساد الصحف وسقوط الرغبة في مطالعتها اعظم من ان يرى المطالع الخبر الواحد في جريدتين او ثلاث او خمس وكثيراً ما يكون ذلك الخبر بالعبارة الواحدة لانه في جميعهنّ معرّب عن جرائد الاجانب حتى ما يتعلق بسياسة القطر نفسه . . ولا نقول ذلك على جهة التنديد بجرائدنا ولا كتابنا ملومون فيه لما هو معلوم من بعد موافقهم عن المراكز

السياسية بل خروج البلاد بأسرها عن معتك اهل السياسة العامه والخاصة والقضاء عليها بان تكون تبعاً لما يراد بها الا لما تريد . . بل في اوربا نفسها لا نجد من اقطاب السياسة في اصحاب الجرائد وغيرهم الا نفرًا معدودين ممن ترشحوا لها ونشأوا على دراستها وانفقوا ايامهم في مخالطة اهلها والوقوف على ابواب مجالسها مع تلقن اسرارها من دهاقتها واصحاب العقد والحل فيها ولذا ترى كلمة الجريدة المعتبرة منها يرت صداهها في مسامع كبراء الارض واعاظم ملوكها ووزرائها لعلمهم بانها صادرة من مقام هو وراء مقام كاتبها واسمى منه كثيراً . فما الذي يبلغ اليه كتابتنا من مثل ذلك وما عسى ان يكون علم السياسي منا ورأيه وهذه اخبار النظارات وهي بين ظهرانهم لا يكادون يتعلقون بالنبا التافه منها الا استراقاً او استشفافاً من وراء حجاب وهذه اخبار مواقع السودان وهي متصلة بمصر وفيها جيش مصر واموالها تتاولها جرائدنا عن جرائد انكلترا او غيرها فلا تصلها الا بعد ان تقطع البر وتخوض البحر وتأتيها عن طريق هو ابعد من السودان بمراحل . فاذا كان هذا الشأن في السياسة الخاصة واخبار وقائع القطر وما جاوره وهي تهم كل فرد من افراده فما الظن بسياسات الدول العظام والممالك القصية واي مجال لنا فيما ينوي منها سياسيو اوربا وما يقدرونه من تصرفها في انحاء المعمور وما يخططونه منها للمستقبل وفي بعيد الاقطار

ثم اين نصيب العامي من تلك الجرائد وعليه اكثر رواجها وحزبه هو العدد الاكثر من مشتركها وهل يكتفي منها بما تسرده بعد ذلك من خبر زفاف اونبي وما يقع في البلاد من قتل او سرقة وما يتوخاه

الكاتب او المكاتب من اطراء بعض ذوي الشأن لغرض في النفس او  
الوشاية ببعض المستخدمين حقاً او زوراً او الاعلان بنقل حانوت فلان  
وضياع ختم فلان او ما أولع به بعض تلك الجرائد من نفث سموم التعصب  
والشقاق . . اين الكلام فيما ينمي ثروة البلاد والبحث فيما تُصلح به عناصر  
تربتها ويزكو ما فيها من زرع وضرع ومتى رأينا فيها حصناً على احياء  
الصنائع او كلاماً في بعض فروعها او ترغيباً للمتولين في انشاء المعامل  
والاستغناء بها عن المصنوعات الاجنبية . ثم اين الفصول المطولة في تهذيب  
اخلاق العامة واصلاح آدابها وعوائدها على كثرة ما فيها من المفساد  
والموبقات والتنبيه على ما الفته من سوء التربية الحسية والمعنوية مما فشت  
به العاهات والآفات وتفاقت الرذائل والمنكرات ومن تصدى لتوير  
اذهانها بما يكشف عن بصائر ظلمات الاوهام والاضاليل وما رسخ في  
عقولها من الحرافات والاباطيل التي يتناولها الخلف عن السلف حتى صارت  
كالحيون العجم او اضل سبيلاً

لكنك تجد كل ما هناك من الخلل في احوال الامة والفساد في  
اخلاقها وآدابها مسكوتاً عنه لا تكاد تذكره الجرائد الا عندما تلتطخ وجوهها  
بشيء من سيئات بعض الجهلة وما يجري على ايديهم من المنكرات والفظائع  
ثم لا تجري له من بعد ذكراً ولا تنبهه لشيء تُدخله على نفوس قرائنها  
وتدعوهم للتنبه اليه والتضافر عليه سوى ما أومأنا اليه قبل من الطامة  
التي سال سيلها في البلاد وامتدت بها اعراق الشر والفساد ألا وهي ما  
أولع به بعض الصحف الحالية من دس روح الشقاق في صدور الامة

وايقاد نيران التعصب الديني الذي هو احدى آفات الشرق بل اعظم اسباب  
 ما لحق به من الدمار والاضمحلال ومنبع ما انبثق عليه من الشؤم والوبال  
 كأن تلك الصحف لم تجد في كل ما ذكرناه من المفاسد المحيقة بالبلاد ما  
 هو حقيق بان تتداركه بالتعديل والاصلاح سوى هذه المصافاة بين القلوب  
 ترميها بالمنافرة والشقاق وهذه الهوادة في الدين تبدلها بالتعصب والتحمس  
 على ما بين القوم من التلازم والجوار وعلى ما ببعضهم من الجهل والتهور  
 وأنهم ليس عندهم من معرفة حدود الدين والائتمار باوامر العقل ما يقف بهم  
 عند حد الرفق والاعتدال وكأنها لا ترى في كل ما ناب البلاد من التأخر  
 والوهن والتهافت في دركات الحمول والهوان والانعماس في ردغات الذل  
 والفقر مصرفاً لتلك الاقلام عن هذا السبيل الذي يزيد الامة على وهنها  
 وهناً ويفت في اعضاء جامعتها ويوهن ركزها ما ه نصم عروة اجتماعها  
 ويقذفها في هوة الحراب . فدست هذه الافة في صدور السواد الكبير من  
 اهل هذه الديار على كونهم من سنوات قلائل وبعبارة اخرى من قبل  
 انتشار تلك الجرائد بينهم كانوا غافلين عن هذه المفسدة لا يعرف احدهم الا  
 ما يعالجه من تربة ويذرّه من زرع ويريه من حيوان ويأويه اليه من  
 مسكن وعيال ويرى جاره فلا يتوهم فيه الا الانس والمصافاة والتعاون على  
 الدهر حتى جاءهم من حرك فيهم ذلك الساكن ثم لم يزل به يوماً بعد يوم  
 وشهراً اثر شهر حتى عصف اعصاره في القلوب وثار غباره في العيون فظلم  
 به الجو بين الرجل وجار . القوم بينهم النظر الشرر واستحكم بينهم  
 الشان على غير جناية ولا اثم واصبح لبعضهم عند البعض ثارات لا يعلمون

ما هي وان شعروا منها بحزازات لا تُشفى وجراح لا تبرا  
 ومعلوم ان للجرائد اثبت تأثير في نفوس قراءها لانها الجليس الدائم  
 والعشير الملازم يقرأها الرجل في ناديه ويأنس بها في خلوته ويختلف اليها  
 في اوقات فراغه ويتكرر عليه حديثها في كل يوم حتى تنطبع حروفها في  
 مخيلته وترسم الفاظها على اسلة لسانه فاذا تكلم نطق بما تتلو عليه واذا  
 تناجت خواطره لم يمر بها الا ما تلقن من اقوالها الى ان تنتقش خطتها في  
 صفحة اعتقاده ويسترسل اليها برأيه وهواه ولا سيما اذا لم يسبق اليه من  
 العلم ما يزاحم آراءها ولم يكن بين يديه ما ينصرف الى تلاوته دونها بحيث  
 تكون هي المورد الوحيد الذي تستمد منه بصيرته فان ما يرد عليه منها  
 يمتزج باجزاء نفسه ويرسخ فيه رسوخ طباعه حتى يصير من الضروريات  
 التي لا تقبل الزوال ولا تعترضها الشبهات

وهذا الذي ذكرناه هو الغالب على اهل هذا القطر لما انهم قوم  
 غالبهم على الفطرة لم يقفوا على شيء من احوال الامم وسياساتها وادابها  
 الاجتماعية فاذا وقع الى احدهم حديث احدي الجرائد كان ذلك اول ما يخرج  
 اليه من المباحث المتداولة بين اهل طبقات المجتمع وخلوه من أداة الحكم  
 في صحة ما يلقى اليه مع اعتقاده العلم والاخلاص في كاتب تلك الجريدة لا  
 يتوقف عن الاسترسال الى ما يتلوه فيها من غير ان يتطرق اليه ادنى ريب  
 وحينئذ فمن البديهي ان ما انطوت عليه تلك الجريدة ان كان خيراً ثبت  
 ذلك الخير في طبائع قارئها واقتنسته ملكاتهم وتمت صورته في نفوسهم  
 واخلاقهم وافعالهم فكانوا محلاً للخير وقدوة له بين مواطنهم واهل طبقتهم

والا كانت هي الشر المحض والبلاء الفاشي تقذف بمريديها في مهاوي الشر  
وتقتادهم في شعاب النفي والضلال وكانت كالجرب في الامة يعدي بعضها  
بعضاً. فليراقب كتابنا الله فيما يملون على الامة وليعلموا ان ما يخطونه في  
خلواتهم انما يجرون به اقلامهم على صفحات قلوب تنطبع فيها كلماتهم  
بحروف لا تُحصى فليكن ما يطبعونه فيها للخير وليكونوا من هداة الامة  
الى الصلاح ليحسن اثرهم فيها ولا تلمهم تبعها يوم لا ينفع مال ولا بنون  
وزد على ذلك ما تراه في بعض صفحات الجرائد عندنا من المثالب  
الشخصية والوقوع في الاعراض والتطاول على الاحساب والخروج الى الشتم  
والبداء مما يفسد الاخلاق ويودي بالآداب ويهتك حجاب الحشمة  
ويجري الاغرار والسفهاء على مقامات كبراء الناس وذوي الحرمات منهم  
ومعلوم ان الجرائد انما وضعت لتكون خادمة لمصلحة الجمهور لا لما رب  
اصحابها وانما يشترك فيها المشترك لفائدة يتناولها او ادب يستمدّه لا ليتخذها  
نسخة للمعائب والنقائص ولا ليكون مشايخا لكتابتها في اهوائه يجتذبه  
حيث شاء وشاءت اغراضه وانما ذلك باب من ابواب التفرير والتدليس  
فضلاً عن كونه مضرّاً بالجرائد عامه صادّاً للقراء عن اقتباس ما فيها من  
الفوائد بما يبعث في نفوسهم من النفور عنها والاعراض عن مطالعتها فتبور  
بذلك المصلحة المقصودة منها وفضلاً عما فيه من اسقاط حرمة هذه الحطة  
الشريفة التي من اخص مزاياها ان تكون قيّمة على الآداب العمومية ذاتة  
عن الاحساب والاعراض كما انها قيّمة على الاحكام ذاتة عن المصالح  
والحقوق. بل لا جرم ان مثل هذه الصحف تُعدّ لطفة عارٍ على الامة

باسرها لما لا يخفى من ان الجرائد عند كل قوم تُتخذ عنواناً على منزلتهم من العلوم والآداب والاخلاق والعادات لانها المرآة التي تتجلى فيها صور هذه المعاني كلها وتمثل بها درجة الكاتب والقارئ جميعاً لان الكاتب انما يكتب على مكانة علمه وذوقه وانما يختار من المباحث ما يعلم انه يقع من قارئه موقفاً مقبولاً والا سقطت جريدته من نفسها فقضي عليها بالاھمال ولا نذكر هنا الجرائد التي نزعت عن هذه المناحي كلها الى ما لا

يُعرف له منحي من الخلط والهديان والتكلم بالفاظ السكارى والحشاشين مما لم يسبق له ضريب في شيء من بلاد الله ولا سمع ان مثل ذلك الكلام مما يكتب ويُطبع ويُشر وتباع الالوف منه في كل اسبوع الا في هذه البلاد بلاد الغرائب الا انها على كل حال اقل شراً من بعض الجرائد التي مرّت الاشارة اليها وان كانت خالية من المنافع

والحاصل ان الجرائد بما هي عليه من كثرة الانتشار والتداول بين ايدي القراء وتواصل ظهورها على الايام تعد من اعظم العوامل واثبتها اثراً في اخلاق المجتمع وعوائده ومعارفه وعقائده وطبقات مداركه حتى في لغته ووجوه التعبير عنده لانها بتكرارها على الذهن واللسان ترسخ عبارتها في ملكة قارئها كما ترسخ خطتها المعنوية في معتقده حتى انه اذا رام الكتابة نزع بها الى اسلوب الجريدة التي الف مطالعتها وربما قلدها عن غير قصد بل قد رأينا اصحاب الجرائد انفسهم لكثرة ما يطالع بعضهم جرائد بعض قد تعاوروا انفسهم بينهم وقد بعضهم بعضاً حتى في اللحن والخطاء بحيث لا تكاد تجد كلمة محدثة او تركيباً جديداً في واحدة من تلك الجرائد الا

تجدّه بعد ايام قد انتشر في سائرها وألحق بتعايرها الخاصة مما اصبحت فيه تلك الجرائد في كثير من الفاظها واصطلاحاتها لغةً بحالها وانتشر كثير من الفاظها على السنة العامة فيما يخوضون فيه من مباحثها. وهذا ولا ريب من جملة الآفات التي ينبغي تلافيها لعموم البلوى بها وسندكر من ذلك الشيء بعد الشيء فيما يأتي من اجراء هذه المجلة ان شاء الله

على اننا لا نعم القول في شيء مما ذكرناه في هذه المقالة فان بين كتاب جرائدنا من الافاضل ورجال العلم والاخلاص من يرتفع بهم قدر الصحف ويحق الانتفاع بمسطورهم لولا ان فيهم قوماً من المتطفلين على مقامها العائنين في الامة بفساد آدابهم وزينغ خطتهم ممن كدروا مشربها واسقطوا منزلتها وكانوا عقبه في طريق نفوذها وعلو كلمتها. ولقد سرنا وايم الله ما انتشر في جرائد هذه الايام من ان الحكومة عندنا تنوي سن قانون للمطبوعات يتناول الجرائد على الخصوص ويقيّد اقلام العابثين بشرفها وآداب الامة ولا ريب ان التقييد في مثل هذا المقام خير من الحرية فحسب ان تتمحض بعد ذلك للخير وتعتصب على ما يرفع شأنها بين القراء وفي عيون الحكومة نفسها فلا تكون مهملّة كما هي ليومنا الحاضر والله الهادي الى السبيل السواء

— ❖ ❖ ❖ —  
 ❖ حمام الزاجل ❖

ويقال حمام الزجال ايضاً عن الفارسي وهو الحمام الذي يرسل على بعد وقد زجلته وزجلت به وجاء من مزجل بعيد. ولا تقل الحمام الزاجل فانه